

بلاص أسطورة الغناء الشايقي

شاعر

أ. شريف محبوب محمد أحمد (ود السندس)

المستخلص:

يعد الفنان المبدع عبدالرحمن بلاص من أساطير الغناء في منطقة الشايقة بصورة خاصة، وفي السودان على وجه العموم، والمنتبج لشخصية ومسيرة الأستاذ عبدالرحمن يجد أنه قد أبدع في الغناء بالطمبور وأصبح أحد رموزه التي يشار إليها بالبنان، تنبع أهمية الدراسة من أهمية الشخصية التي تناولتها وذلك لأن شخصية الفنان بلاص من الشخصيات الجديرة بالبحث والدراسة والتعريف بها في مختلف المنابر، اتبعت الدراسة المنهج التحليلي وتوصلت إلى أن شخصية الفنان بلاص من أميز الشخصيات في الغناء الشايقي.

الكلمات المفتاحية: بلاص ، أسطورة ، الغناء ، الشايقي

Abstract:

creative artist Abdul Rahman Ballas is considered one of the legends of singing in the Shayqa region in particular, and in Sudan in general, and the follower of the personality and path of Mr. The personality of the artist Ballas is one of the personalities worthy of research, study and definition in various platforms. The study followed the analytical method and concluded that the personality of the artist Ballas is one of the most distinguished personalities in Shayqi singing. Keywords: balls, legend, singing, shayqi

مقدمة:

عندما تود أن تكتب أو تتحدث عن أي إنسان عادي تجد نفسك في صراع مع الحروف والمعاني التي تبتدر بها كتابتك عن هذا الذي تريد ان تتكلم عنه، فمبالك وانت تود التحدث عن احد اساطير الغناء الشايقي، بل اكبر اسطوره مرت علي تاريخ اغنيتنا الاولي والحديثه، رجل يحمل كل جينات الابداع والتفرد في كل الجوانب الفنيه، علاوه علي انه يمتلك ذخيره هائله وثره من التراث والثقافه ودرجه من العلم، اضافه الي ملكته الفنيه واللحنه والصوتيه قل ان توجد في شخص واحد، كل هذه الميزات الاتوجد الا في هذا الشخص المتفرد في كل شي.

رجل اهتم بالتراث، واجتهد كثيرا في جمعه، ومعرفة خباياهو، وضروبه، وواصل في تقديمه بصورة تجعلك مجبر ان تقف، وتبحث، وتجتهد في معرفته، ومعرفة معانيه.

هذه الشخصيه المجتهده والاسطوره المتفرده، هو المرحوم عبدالرحمن بلاص، صاحب الصوت الشجي، والطروب جدا، عندما تسمعه تجد نفسك في عالم عجيب. اذكر ونحن في مستقبل الصبا كنا نسمع له في الربوع، وحيانا في التسجيلات، ولم نكن ندري عن معاني كلماته شيئا، فقط كنا نظرب جداً لهذا الكروان، ومن هنالك بدأ عشقي له، واعجابي بما يغنيه، وزرع في نفسي حب التراث، والبحث عنه، وعن معاني ومدلولات هذا التراث الشيق. وفعلنا وجدته بحرا متلاطم وعذب وحلو للشاربين، ومملكني حبه، ووجدتني التصق بكل من يحمل شئ منه وزاد اهتمامي أكثر وانا اتطلع للاستاذ (كدي) وما يحمله من قيم وموروثات. كم تمنيت ان التقى هذا الهرم الشامخ (بلاص) وكنت كل ما انوي زيارته في منزله اجد نفسي في مقارنه، اين انا من هذا الاسطوره؟؟ فالغي فكرة زيارته، مع اني كنت متابعه عن قرب ومن خلاله، ومن خلال هذا التراث وجدتني اكتب قصيده تخيلها الجميع انها من التراث الاول، لمافيها من معاني وكلمات ترجع للعهود القديمه، لدرجة أن

احد الرواة حفظها ويلقيها للمجالس بحكم انها من التراث، واقول في هذه القصيده التي كتبتها
تقريباً عام 2017 م :

....

علي يادنيا عارفك مابترقي
تشققي قلبي في خاطر تحرقي
تبوغي همّي في خاطر تحرقي
تَحْشِي آمالي في الكَرِّيق تَغْشِي
وسبيط احلامي اخضر وني تخري
عَرَق في الصيف اخرتو القاك مشئي
وبرد عز الهجير صَنائي اغْشِي
شمس قبل الطلوع الليلي غبتي
وأمل رصيتو جيتا لقيتو رُئي
دهجتي افراحي يالاحزان فضلتي
وخربتي علي مرادك دابو نلتي
من جر الصبر شلتي وغرقتي
ولشغتي الكوز وباقي كمان دفقتي
تراك كَدَنْتِي حبلك فيا لُتِي
وحويتيبو القرون ودخل نخرتي
بقالي زمام علي شركك بيه قُدِّي
وعلي وادي الجحيم حالاً جبدي
ما هماك بكاهو ولا اتلفتي
وتراكي وقفتي فوق هُوّه ودفرتي
كفيلي المولي يا الي مارحمتي
وتراني رضىتا بالبيهو انتي سُرتي
تجوري او تصفي كلو انا عندي سَتي
هاباب فرفتا بالصايح ركبتني
ونسيتي المولي عمري براك حسبتني

.....

ولم اكن اكتب بهذا الاسلوب، لولا اني تشربت من هذا الورد العذب الصافي(بلاص)، وفي الحقيقة انا بحثت عن اغانيه المسجله والموجوده وتمكنت ان اجمع بعضها، وخفي علي منها الكثير، لان (بلاص) هو من فتح عيوني علي هذا الكون، والكم الهائل من الاشعار القديمه المحدثه عن اهلها ووضعها المعيشي في ذلك الزمان والمكان الذي فرض عليهم ان ينثروا هذا الابداع البسيط والجميل بهذه السهوله والطعامه التي تتمطقها في نطق كلماتهم وصدق احساسهم، والمرحوم (بلاص) عرف ينقي الجميل والرحيق من بين هذه البساتين، ويقدمه لنا في طبق من ذهب لنتذوقه في احلي مذاق.

اجتهد(بلاص) كثيرا حسب علمي مع رفيق دربه (محجوب كرار) لاجراج هذه الدرر الغوالي ليزين بها جيد اغنية الطمبور، وقد غني منذ شبابه وتدرج حتي دخل الاذاعه كاول فنان يدخلها، ليفتح اذان المستمع السوداني علي هذا التراث. علما بان المرحوم(بلاص) تدرج بالاغنيه لمراحل عديده ابتداءً من (الشتم) وهو كان يصنع من الدوم يجوف ويكسونه بالجلد،وبعده كان (الدليب) الذي وردنا من الغرب عبر التبادل التجاري في ذاك الزمان الجميل.

وبذا تطورت اداة الايقاع لتصنع من الفخار واخيرا وصلت للالونيوم والاشعه، وكان الغناء ايضا في مراحل يتطور من مرحله لاحري، حتي وصل مرحلته الحاليه مرحلة الكورس الذي يصطف بجانب الفنان والمرحوم(بلاص) كان اول من نظم الكورس حسب علمي، قبل وبعد ظهور المايكرفون ابو ججار، قبل ان تصل الكهرباء زمن الرتاين التي تعمل الجاز الابيض والسبيرتو.

واجتهد(بلاص) في تقديم الجديد المبتكروهواول من جعل للكورس زي موحد، يتكون من الطواقي الحمراء، والصديري، والعراقي، والسروال الطويل،علاوه علي اجتهاد (بلاص) في ابراز وجه الحضاره والعادات والممارسات المحليه من خلال اشعارهم واغانيهم، فكان يحرص (بلاص) علي توثيق التاريخ، والشخصيات المهمه، والاسماء الرسميه، والاحداث القومي، لتمثل مراحل تاريخ هذا البلد الذي وثقه اهلّه في اشعارهم، لتظهرهنا نظرة (بلاص) البعيده للقصيد او الاغنيه التراثية، ومن ثم ليظهر بعدها غيرالمري للكتيرين، وثوابت اهلها في ورود تاريخها وما تتحدث عنه لتثبت للمتلقي او القارئ مدي اهمية توثيق كل مرحله، وظهور مدلولاتها علي الوضع العام في الحياه. وادلل علي ذلك باغنية (بلاص) التي تحمل اسم (عيون الصيد) او هي معلقه، تضاهي معلقات العرب زمن الجاهليه. التي تحوي في متونها ودواخلها الكثير من الاحداث المتنوعه، والمواقف الرائعه، وخاصه تلك التي تتعلق بالحبيب ومحبوته، وكيف انه يسامح، ويتجرد من الانانيه، ويعفو، ويعاتب برقه. نجد ذلك في مقطع الاتي :

يا قميرة المشرق العند الزلومه
البقوقي دباسها بالشقين يحومه
البشروت دودها حامي الناس العومه
تومتي انكشفت بلا الصهبا المزمومه
سيور رحطك بلا سنج الحكومه
دحين آناس اسامحها والا الومه
دي البقت للغير بعد ماجب لزومه
وياي التساؤل من الشاعر في لفته تجعلك تقف احتراماً له..

...

دحين آناس اسامحه والله الومه
دي البقت للغير بعد ماجب لزومه⁽¹⁾

وهنا يتبادر الي ذهنك ماهو لزومه؟؟.

في ذاك الزمان كان العريس بعد يجد الموافقه، يحدد العرس، ويقوم العريس ببناء غرفه او(اوضه) من الطين للمقتدر، او من جريد النخل للمسكين، ويتم ذلك (بالفزع)، تشيد هذه الغرفه في منزل نسابته، وذلك لأنه (يربعن) فيها مع عروسته، يعني بعد العقد يدخل غرفته مع عروسته ويمكث بها(اربعين يوم) تخدمه نسيبته بالاكل الجيد والشراب المغذي وهكذا، ولكن هو من يحضر هذه الاشياء من طلع، وارياح وعطور، وذلكه، وشيله، وطاحنيه، وعسل، وسمن وغيره، وام العروس واهلها يقومون بخدمته، وصاحبنا هنا في القصيده السابقة، احضر هذه اللزوم ورفضوه وتم تزويج محبوبته لشخص اخر، وفي ذلك الزمان وكان من ترفضه العروس او اهلها، يشيع بعنقريب، ويسير باناشيد تقلل من قيمته نكايه فيه، ورغم ذلك هذا الشاعر لم يحاسب محبوبته علي فعلتها بل يتساءل: دحين ياناس اسامحه والا الومه؟؟ وفي كلا الحالات يظهر تسامح وتسامي هؤلاء الناس علي كل الجراح، وهذا ما حرص ان يظهره المرحوم (بلاص) لكي يبقني نبراس لمن يعقبونهم لتظل روح العفو والتصالح اكبر من كل شئ.

ومن اشد ما حرص عليه (بلاص) في مناداته لاهل العلم والفكر والدرايه، بالتوجه وتكريس جهودهم في التدوين والتوثيق للارث الذي خلفه اجدادهم من كل النوا وجاء ذلك في كتابه (من المخلايه المجموعه الاولى) ويقول فيه: (حياتنا الماضيه كلها تتسرب من بين ايدينا ونحن عنها غافلون، لا احد يهتم، ويتابع، ويسجل للاحتفاظ بها والرجوع اليها، لنستمد منها العزم والالهام،

لمتابعة الخطي ونحن نمضي الي الامام. وحياتنا الماضيه كلها من شعر شعبي، وغناء، وقصص، واحاجي، وحكاوي، وامثال، والغاز، واساطير، وضع اهلنا الذين مضوا، كل حياتهم، وطرق تفكيرهم، وآمالهم، وامانيهم، واحلامهم وضعها، وهاهي اوشكت ان تندثر وترحل لتلحق بهم. ونحن الابناء، والاحفاد نسير كالطرش في الزفه، لانسمع ولا نفهم، ولانتجاوب، ولا نأخذ ولا نعطي، ولانفعل ولا نتفاعل، لهذا تجدنا دائما منفصمين منفصلين كل جماعه، واقليم يعيش وكأنه في جزيره منعزله عن الاخرين⁽²⁾.

كما ان (بلاص) اهتم كثيرا بزملائه الفنانين والشعراء، وظل من خلال مقالاته في الصحف، ينادي بالالتفات اليهم، وتكريمهم، وتقدير العون لهم، وهذا لعمري تواضع جم يعكس لنا مدي حنيته (بلاص)، وحبه لزملائه، واخوته في المجال الفني.

مثال لذلك : الفنان بنده⁽³⁾ والباحث محبوب كرار⁽⁴⁾ واحمد الطيب زين العابدين⁽⁵⁾ والقائمة تطول .

ومن اكثر مالفات انتباهي في مسيرة (بلاص)، وكتابات، انتقائه للكلمات، والحروف، والنصوص التي تحمل ارثا او قيمه اجتماعيه او تاريخيه او مثل من امثال ذلك الزمان، وذلك يدل علي انه كان واسع الافق، ولا ينظر لما يقدمه من واقع القبول والجمال، وقوة النصوص، بل زياده علي ذلك يحاول (بلاص) من خلالها توثيق حقبه من الحقب، وتدوين نمط حياتها، وتقاليدها، ولنذهب معا لبعض ما قدمه (بلاص) من اغاني لناخذ مثلا اغنية عيون الصيد.

هذه القصيده تعد بمثابة معلقه كما ذكره ذلك سابقا في متن هذا المقال، ويمكن ان تدرس لكل الطلبة، وخاصة في مجال الادب والتراث، ففيها من الحكم، والامثال، والمواقف التاريخيه، في فترات حكم التركيه والمستعمر الانجليزي كثير من الجمال اللغوي واللفظي. وعيون الصيد قصيده تراثية لا يعرف لها شاعر، وهي من تلحين وغناء بلاص وتقول ابياتها:

ناري انا من عيون الصيد واناري

موقدي في قلبي حرو شديد واناري

&& @ &&

حليل تومتي القبيل كانت صباح خير

دحين سفهنتي ياخلي وبقت غير

مسيكاية البشاي يشيل من الحير

انتي السبكوهو وصافي جمير

جنتيني بهدلتيني صط الواطه حفير

قولة لالا عندي انا اخير من الغير

&& @ &&

انتي الفي السبيط ميّلبو ميّيل

وكت الحر يمّوع ينزل بلا السيل

غفرك ماينوم بنهار ولا ليل

يكتب لي لماتك وافر الكيل

ان كان بي رضاك وان كان براطيل

عاد مي بسوي اكل الدباس فوق القناديل

&& @ &&

ياتميرة المشرق العند الزلومه

البقوقي دباسها بالشقين يحومه

والبشروّت دودها حامي الناس العومه

تومتي ان كشفت بلا الصها المزمومه

سيور رحطك بلا ستج الحكومه

دحين آناس اسامحها والا الومه

دي البقت للغير بعد ما جب لزومه

&& @ &&

ياتمير المشرق العلولو زربو

مالو كان الزول غشاهو وقشا دربو

بلقط وحدي واتنين ما خبربو

وحات الخوه ريدك ما فشربو

البرضي علي تعرفي وتاي دربو

&& @ &&

ياتميرة المشرق العلولو سامو

القبل ماينجض السبابه حامو

السعيد في الدنيا ياخذ قدر ايامو

وعليك يا الله موعارف القدامو

&& @ &&

يا تميرة المشرق العن ود كقاني
التموع في الليد قبل تصل الصحاني
بطينة لي من مغسك ملياني
تراك تجهجي فيي ماي ميقتاني
&& @ &&

يا تميرة المشرق القبل الكنيسه
البلا عيش الجروف متكابي ديسه
بدور ابراهما واتصنط حديثه
بدور ابراهما كيتا لي عريسه
بلا الزول ييلع ام زين من قصيصه
&& @ &&

يامرسالي قوم من عندي مسرور
سلم لي علي التشبه جني الحور
خديرة الفي صنّب حلقاتو باجور
تومتني لهجك عنبرو وكوباتو بنور
غيك في الضمير باقبيلي ناسور
نفسك في الفتايل شمعو مقفول
وانتي الفي وكالة الاسمو شاؤول
ياعويدها السلّكو وهزabo فُضُول
الخلايق شفتني وقالو مدخول
مضروب ببسناين وفكري مشغول
السلام يالغفرو كركون قالوا حاس دور
&& @ &&

يامرسالي قوم من عندي طير فر
سلم لي علي الذهب المجمر
ومابتلقاها في القيلان تتفشر
ومابتلقاها في فارغي بتتسدر
ومع جاراتها ماب تتكسب الشر

باب الريد كمل ومفتاحو اتودر
وصف الجاهلة انا الغالبي بالمر

&& @ &&

يامرسالي قوم من عندي في حين
سالم خدرة السردار تمانين
امك بت فراش واخوالها بينين
اسياد الجزيري الوافري في الطين
أبوك دوداً رطن فوقو الوزازين
وإنتي شاربك زرة الفوقو النواشين

&& @ &&

ود اللريل الفي وادي كبنه
جريننا جرينا لامن سال عرقنا
تومتني حد من نجري قناصك غلبنا
جوا الناس عزلوا الحلو في قصبنا
غاروا وحشوا كليقنا العجبنا

&& @ &&

يادويسة الفالق اب سقدا جضالو
طامح نيلو حشاش مامشالو
لهيجو الفي المحس نعمان هضالو
قطّع ببسنت وفوق زملو شالو
من خلي الزول الدايرو انتكالو
يدنقر عند فداياتو ويخالو

&& @ &&

يا دويسة المفلقين الزتقا الجم
الرطن وزينا فرّه جناحو قرجم
وياجينية الماب يقلب العربي ترجم
ويا زريرة الماب يقلب البلدي حم حم
الصبر يا الله مابنقدر علي الزم

والزول ماييلوم خلق الله من جم
تومتى بي قلم الهنود شلخك مرسم
ما شاقنى الشباب من غيرها حرم
والمزمه الماها فيهو علي كيف غم

&& @ &&

انتي الفى العزازه بيرعى تبتاس
يامسيكة الجاسر الفى الحجره كباس
تومتى لهجك بت تموده السوت ام راس
وكت اطراك دوم سكران بلا كاس
انتي الفى الجنيته غفر و حراس
الرئيس عبد الغنى الداسوقي قصاص
تومتى شرفك فات علي افندينا عباس

&& @ &&

انتي الفى العزازه بيرعى وادي
وانتي العن بلال غزز حواحي
قاعد قبلو فضل المولي يسقي
ده المعلي سبيقو خوف العين تلاقي
إنتي الفى جنينة الباشا ساوي
يازيرة القام حسين مقلد مباري

&& @ &&

القشيش المطرو صبت بعد الهجعه
خدر نالو راتع صيدو يرعه
طال الشوق علي سبعين بت سبعة
ام حساراً في الضمير باقيلي وجعه
نفسك مسكة الماب يسكن ترعه
مكوكب عودها فنيار قاطع الفدعه
في جوفي ام جحيم زادوها ولعه
البشوفك كونو طاف بي مكه سبعة

قضى فروضو وافي الحجة جمعه

&& @ &&

بساھر ما بنوم لا صيحة الديك

مناي يازولي بعد الهجعه الاقيك

اختفك من خلايق الله آ بخليلك

اوديك في المدينه ام سور احوييك

واجيب البرصه من الريح اضاريك

ومن غالي الحرير بجبد واغتيتك

وحات عينيك في ود عيني اسويك

ان شافوك في بطني ابلعك عييك (6)

&& @ &&

الهوامش :

- (1) اغاني بلاص - عيون الصيد - الشاعر - تراث - لحن وغناء - عبدالرحمن بلاص- رقم الايداع 129-2002- ص 31.
- (2) عبدالرحمن بلاص- ادركو تراثنا قبل الاندثار والتحسر- المقال نشره بلاص من قبل في جريدة الشارع السياسي- العدد 125-24 نوفمبر 1998م. الان منشور في كتابه - من المخلايه - المجموعه الاولى - رقم الايداع 99/63 - ص 98.
- (3) عبدالرحمن بلاص- الفنان عبد الرازق بنده ..وتجاهل نادي الطنبور-المقال نشره بلاص من قبل في جريدة الشارع السياسي- العدد 291-26 مايو 1998م- الان منشور في كتابه- من المخلايه - المجموعه الاولى - رقم الايداع 99/63 - ص 5.
- (4) عبدالرحمن بلاص- محبوب كرار ياوزارة الثقافة ..ويا ابناء مروي- المقال نشره بلاص من قبل في جريدة الشارع السياسي- العدد 157-30 ديسمبر 1997م - الان منشور في كتابه -من المخلايه - المجموعه الأولى - رقم الايداع 99/63 -ص 11.
- (5) عبدالرحمن بلاص- أحمد الطيب زين العابدين ..الفنان والانسان تكريمه يكون بطبع كل تراثه الذي خلفه - المقال نشره بلاص من قبل في جريدة الشارع السياسي- العدد 172-15 يناير 1991م - الان منشور في كتابه - من المخلايه - المجموعه الاولى - رقم الايداع 99/63 - ص 13 .
- (6) اغاني بلاص - عيون الصيد - الشاعر - تراث - لحن وغناء -عبدالرحمن بلاص- رقم الايداع 129-2002- ص 31-32-33-34- 35 .